

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَرِّئُونَ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٩)

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن بدأ موسى ﷺ جوابه لقومه بإثبات فَرْطِ جَهَالَتِهِم بِرَبِّهِمْ، وَسَفَاهَةِ أَنْفُسِهِمْ، ثَنَّى ببيانِ فسادِ ما طلبوه في ذاتِهِ، وَكَوْنِهِ عُرْضَةً لِلتَّبَارِ وَالزَّوَالِ، وَبَاطِلًا فِي نَفْسِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، عَسَى أَنْ تَسْتَعِدَّ عَقُولُهُمْ لَفَهْمِهِ، وَاسْتِبَانَةِ قُبْحِهِ⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مُتَبَرِّئُونَ﴾ (تبر) أصلان متباعداً ما بينهما: أحدهما الهلاك⁽²⁾، وَالْآخَرُ جَوْهَرٌ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ، وَهُوَ التَّبَرُّ، وَهُوَ مَا كَانَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ غَيْرَ مَصُوغٍ، فَالتَّبَارُ: الْهَلَاكُ وَالْفَنَاءُ⁽³⁾. يُقَالُ تَبَرَّ الشَّيْءُ - كَضَرَبَ وَتَعَبَ وَقَتَلَ - وَتَبَرَّهُ تَضْعِيفٌ لِلتَّعْدِيَةِ، أَيُّ: أَهْلَكَهُ، وَالتَّتَبُّيرُ التَّدْمِيرُ، وَكُلُّ شَيْءٍ كَسَرْتَهُ، وَفَتَنْتَهُ، فَقَدْ تَبَرَّتَهُ، وَمِنْ هَذَا قِيلَ لِكُسْرِ الزُّجَاجِ: التَّبَرُّ⁽⁴⁾. فَالتَّبَرُّ: الْكُسْرُ وَالْإِهْلَاكُ⁽⁵⁾، وَمَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّرْكِيبِ، كُلُّهُ مِنَ التَّبَارِ بِالْمَعْنَى الَّتِي ذُكِرَ⁽⁶⁾. وَقِيلَ فِي ﴿مُتَبَرِّئُونَ﴾ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: بَاطِلٌ، وَالثَّانِي: مُضَلَّلٌ، وَالثَّلَاثُ: مُهْلَكٌ، وَفِي تَسْمِيَّتِهِ بِذَلِكَ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: لِأَنَّ مُوسَى يُهْلِكُهُ. وَالثَّانِي: لِكُسْرِهِ، وَكُلُّ إِنَاءٍ مَكْسُورٍ مُتَبَرِّئٌ⁽⁷⁾. وَقِيلَ: هُوَ الرَّدِّيُّ السَّيِّئُ الْعَاقِبَةُ⁽⁸⁾. وَمَعَ احْتِمَالِ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَّا أَنَّ: الْإِهْلَاكَ، وَالْإِفْنَاءَ، وَالتَّدْمِيرَ أَظْهَرُ.

(1) محمد رضا، تفسير النار: 9/97 - 99، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 5/366.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تبر).

(3) الخليل، العين: (تبر).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (تبر).

(5) الرَّاغِب، المفردات: (تبر).

(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (تبر).

(7) الماوردي، النكت والعيون: 2/255.

(8) أبو حنَّان، البحر المحيط: 4/377.

اتِّبَاعُ مُوسَى
أُسْلُوبُ
الاسْتِثْنَاءِ الْمَفِيدِ
لِلتَّعْلِيلِ، فِي
التَّذْكِيرِ بِبُطْلَانِ
عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

هذا خبرٌ مِنَ اللَّهِ - تعالى ذكره - عن قِيلِ موسى لقومه من بني إسرائيل: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْعُكُوفَ عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَامِ، اللَّهُ مُهْلِكٌ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ وَفَاسِدِهِ، وَمُثَبِّتُ الْعَذَابِ الْمُهِينِ عَلَيْهِمْ، وَمُبْطِلُ صَنَائِعِهِمْ، مِنْ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا، وَاضْمَحَلَالُهُ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ نَافِعِهِمْ عِنْدَ مَجِيءِ أَمْرِ اللَّهِ وَحُلُولِهِ بِسَاحَتِهِمْ، وَلَا مَدَافِعَ عَنْهُمْ بِأَسِّ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ، وَلَا مَنَقَذُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ؛ إِذَا عَذَّبَهُمْ فِي الْقِيَامَةِ⁽¹⁾.

هَلَاكُ الصَّنَائِعِ
الْوَضِيعِ،
وَبَطْلَانُ الْعَمَلِ
الْخَسِيسِ،
الْمَبْنِيِّ عَلَى غَيْرِ
تَأْسِيسٍ

وترشد الآية الكريمة إلى تحقيق المقصود من العبادة وهو: أن تصير المواظبة على تلك الأعمال سبباً لاستحكام ذكر الله تعالى في القلب، حتى تصير تلك الروح سعيدة بحصول تلك المعرفة فيها، فإذا اشتغل الإنسان بعبادة غير الله تعالى تعلق قلبه بغير الله، ويصير ذلك التعلق سبباً لإعراض القلب عن ذكر الله تعالى وإذا ظهر هذا التحقيق؛ ظهر أن الاشتغال بعبادة غير الله فإن، وهالك، وضائع؛ لكونها تزيل معرفة الله عن القلب، فكان هذا ضدًا للغرض ونقيضًا للمطلوب⁽²⁾.

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سِرُّ الْعُدُولِ إِلَى أَسْلُوبِ الْفَضْلِ فِي السِّيَاقِ:

وبعد أن ذكرهم نبيُّ الله موسى ﷺ بسوء حالهم من جهلهم وسفاهة أنفسهم، قال بأسلوب الاستئناف المفيد للتعليل والدليل: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّ مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ إذ يبين لهم فساد ما طلبوه في نفسه، عسى أن تستعدَّ عقولهم لفهمه، واستبانة قبحه⁽³⁾. وجملة ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّ مَا هُمْ فِيهِ﴾ بمعنى التعليل لمضمون جملة ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فلذلك فصلت عنها⁽⁴⁾.

الاستئناف
تعليلٌ لمضمون
الجملة، وتجليّة
لمدلولها

(1) ابن جرير، جامع البيان: 13/83.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/183.

(3) محمد رضا، تفسير المنار: 9/97.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/82.

سِرُّ التَّعْرِيفِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿هَؤُلَاءِ﴾:

تَمَيِّزُهُمْ بِتِلْكَ
الْحَالَةِ الْبَائِسَةِ
الَّتِي كَانُوا
مُتَلَبِّسِينَ بِهَا،
أَكْمَلَ تَمَيِّيزَ

الإشارة بـ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ إلى العاكفين على عبادة الأصنام⁽¹⁾، وفي تعريف المُسْنَدِ إليه بالإشارة، وتخصيصه بالذكر دلالة على أنَّ أولئك القومَ محقَّقُونَ بالدِّمارِ؛ لأجل اتِّصافهم بالعُكُوفِ على عبادة الأصنام⁽²⁾، ولتمييزهم بتلك الحالة التي هم متلبسون بها أكمل تمييز، وللتنبية على أنَّهم جديرون بما يردُّ بعد اسم الإشارة من الأوصاف، وهي كونهم مُتَبَرِّأَ أمرهم، وباطلاً عملهم⁽³⁾. ورسَّخ هذا المعنى توكيداً مضمون الجملة بـ (إِنَّ)⁽⁴⁾. وهو من حيث كونه ممَّا يُشارُ إليه إلى البعيد يفيد التحقير، وجعل تمييز المشار إليه ذريعة إلى تحقيره أبلغ في التحقير⁽⁵⁾.

بَلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بِالتَّشْبِيرِ، عَلَى صِيغَةِ التَّفْعِيلِ:

لِلْمَبَالِغَةِ فِي
التَّعْبِيرِ عَنِ
الْفِعْلِ، يَنَاسِبُ
قُبْحُ صَنِيعِهِمْ

﴿مُتَبَّرٌ﴾: اسمٌ مفعولٍ من بابِ التَّفْعِيلِ يقالُ: تَبَّرَهُ تَتْبِيرًا، أَي: كَسَّرَهُ وَأَهْلَكَهُ، والمعنى: مَكْسَّرٌ وَمُهْلَكٌ⁽⁶⁾. وَتَبَّرَهُ بِالتَّشْدِيدِ: أَهْلَكَهُ وَدَمَّرَهُ⁽⁷⁾. فهو مبالغة في التَّعْبِيرِ عن الفعل ليناسب قُبْحَ صَنِيعِهِمْ، وتفيد المبالغة في المعنى، وتُستخدَمُ للتَّعْبِيرِ عَنْ حَالَاتِ الشَّدَّةِ وَالْغَلَبَةِ.

دَلَالَةُ تَقْدِيمِ الرَّجَحِ الْمَعْنَوِيِّ عَلَى الرَّجَحِ اللَّفْظِيِّ:

اِقْتِضَاءُ الْمَقَامِ
الْحَضَرِ لِلِاسْتِفَادَةِ
مِنَ التَّقْدِيمِ، فِي
السِّيَاقِ الْحَكِيمِ

في إعراب قوله تعالى: ﴿مُتَبَّرٌ﴾ وجهان، أحدهما: أن يكون خبراً لـ ﴿إِنَّ﴾، والثاني: أن يكون الموصول مبتدأ، و﴿مُتَبَّرٌ﴾ خبره قُدِّمَ عليه، والجملة خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ وهو توجيه الزمخشري، وخالفه أبو

(1) أبو حنَّان، البحر المحيط: 4/377.

(2) الطَّبَّي، فتوح الغيب: 6/543.

(3) الشَّهاب، غناية القاضي: 4/360، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/82.

(4) الطَّبَّي، فتوح الغيب: 6/543.

(5) زاده، حاشية شيخ زاده: 4/285.

(6) حَقِّي، روح البيان: 3/225.

(7) محمد رضا، تفسير النار: 9/97.

حيَّان⁽¹⁾. وَرَجَّحَ ما ذَكَرَهُ الزمخشريُّ من جهةِ المعنى؛ لكونِ الأمرِ إذا دارَ بينَ مرجَّحٍ لفظيٍّ ومرجَّحٍ معنويٍّ، فاعتبارُ المعنويِّ أَوْلى، وذلك لاختضاءِ المقامِ الحَصَرَ المُستفادَ مِنَ التَّقديمِ، أي: ﴿مُتَّبَرٍّ﴾ لا ثابتٌ، و﴿وَبَطِلٌ﴾: لا حقٌّ⁽²⁾، وعلى ذلك فللتَّقديمِ قَصْدٌ.

عِلَّةُ تَقْدِيمِ الْخَبَرِ ﴿مُتَّبَرٍّ﴾ عَلَى الْمُبْتَدَأِ:

قَدَّمَ الْخَبَرَ ﴿مُتَّبَرٍّ﴾ عَلَى الْمُبْتَدَأِ ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾؛ لِيُفِيدَ تَخْصِيصَهُ بِالْمُبْتَدَأِ؛ إِذْ فِيهِ وَسَمٌ لِعَبْدَةِ الْأَصْنَامِ، وَعَلَامَةٌ شَنِيعَةٌ لاصِقَةٌ بِهِمْ، كَالْكَيِّ عَلَى الدَّائِيَّةِ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُعَرَّضُونَ لِلتَّبَارِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْدُوهُمْ الْبِتَّةُ، وَأَنَّهُ لَهُمْ ضَرْبَةٌ لَا زِبْ؛ لِيَحْذَرَهُمْ عَاقِبَةُ مَا طَلَبُوا، وَيُغْنِصَ إِلَيْهِمْ مَا أَحَبُّوا⁽³⁾. فَقَوْلُهُ: ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ يَعْمُ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ⁽⁴⁾.

وفائدةُ تَقْدِيمِ الْخَبَرِ الْإِيْذَانُ بِأَنَّهُمْ لَا يَتَجَاوِزُونَ عَنِ الدَّمَارِ إِلَى مَا يُضَادُّهُ مِنَ الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ عَلَى الْقَصْرِ الْقَلْبِيِّ⁽⁵⁾. ولذلك فهم لَيْسُوا عَلَى شَيْءِ الْبِتَّةِ، وَأَنَّ مُصِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ لَا مُحَالَةَ⁽⁶⁾. وَلِيَكُونَ التَّبَارُ لَاحِقًا بِأَصْحَابِهِ لَفْظًا، وبأعمالِهِمْ مَعْنًى⁽⁷⁾.

التَّغْيِيرُ بِالِاسْتِثْقاقِ الْمُضْعَفِ ﴿مُتَّبَرٍّ﴾، عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ:

تَبَرَّ الشَّيْءُ، أَي: أَهْلَكَهُ، وَالتَّتَبُّيرُ مُسْتَعَارٌ هُنَا لِفَسَادِ الْحَالِ؛ إِذْ أَطْلَقَ التَّتَبُّيرَ عَلَى الْإِهْلَاكِ عَلَى طَرِيقَةِ الْاسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ، فَيَبْقَى اسْمُ الْمَفْعُولِ عَلَى حَقِيقَتِهِ فِي أَنَّهُ وَصَفٌ لِلْمَوْصُوفِ بِهِ فِي زَمَنِ الْحَالِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّتَبُّيرُ مُسْتَعَارًا لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ، شَبَّهَ حَالَهُمُ الْمُزْخَرَفَ

الْمُعَرَّضُونَ
لِلْهَلَاكِ، لَيْسُوا
عَلَى شَيْءِ الْبِتَّةِ،
لِأَنَّ مُصِيرَهُمْ. لَا
مُحَالَةَ. إِلَى النَّارِ

بَيَانُ فِسَادِ
حَالِهِمْ، وَسُوءِ
عَاقِبَتِهِمْ،
لِأَنَّهُمْ مُزْخَرَفُونَ
نَهَجَ اللَّهُ الْحَقَّ

(1) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَّافُ: 2/150، وَأَبُو حَيَّانٍ، الْبَحْرُ الْلَحِيْطُ: 4/378، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الذَّرُّ لِلْمَوْنِ: 5/444.

(2) الشَّهَابُ، عَنَايَةُ الْقَاضِي: 4/360، وَالسَّيُوطِيُّ، نَوَاهِدُ الْأَبْكَارِ: 3/442.

(3) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَّافُ: 2/150، وَالطَّبَيْيُّ، فَتُوْحُ الْغَيْبِ: 6/543، وَابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 9/82.

(4) النَّعَالِيُّ، الْجَوَاهِرُ الْحَسَنَةُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: 3/73.

(5) الطَّبَيْيُّ، فَتُوْحُ الْغَيْبِ: 6/543.

(6) النَّيْسَابُورِيُّ، غَرَائِبُ الْقُرْآنِ: 3/310.

(7) الْإِنْدُونِيْسِيُّ، الشَّامَلُ فِي بَلَاغَةِ: 1/424.

ظَاهِرُهُ بِحَالِ الشَّيْءِ الْبَهِيْجِ الْآيِلِ إِلَى الدَّمَارِ وَالْكَسْرِ، فَيَكُونُ اسْمُ الْمَفْعُولِ مَجَازًا فِي الْاِسْتِقْبَالِ، أَي: صَائِرًا إِلَى السُّوْءِ⁽¹⁾.

بَلَاغَةُ التَّعْرِيفِ بِالْمَوْصُولِ ﴿مَا﴾:

قَوْلُهُ: ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ هُوَ حَالُهُمْ، وَهُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَمَا تَقْتَضِيهِ مِنَ الصَّلَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَلِذَلِكَ اخْتِيَرَ فِي تَعْرِيفِهَا طَرِيقَ الْمَوْصُولِيَّةِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ تُحِيطُ بِأَحْوَالِهِمُ الَّتِي لَا يُحِيطُ بِهَا الْمُتَكَلِّمُ وَلَا الْمُخَاطَبُونَ، وَالظَّرْفِيَّةُ مَجَازِيَّةٌ مُسْتَعَارَةٌ لِلْمَلَابَسَةِ، تَشْبِيْهُهَا لِلتَّلْبُسِ بِاِحْتَوَاءِ الظَّرْفِ عَلَى الْمَطْرُوفِ⁽²⁾.

دَلَالَةُ الصَّمِيرِ ﴿هُمْ﴾ فِي الْآيَةِ:

وَلَيْسَ ﴿هُمْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي التَّرْكِيبِ: ﴿مُتَّبِرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ لِلْفَصْلِ؛ إِذْ لَا مُوجِبَ، لِأَن يُقَالَ: (إِنَّهُمْ مُتَّبِرُونَ) دُونَ غَيْرِهِمْ، بَلْ هُوَ مُبْتَدَأٌ؛ فَيَفِيدُ تَقْوِي الْحُكْمِ⁽³⁾.

جَوَازُ الْوَجْهِينِ الْإِعْرَابِيِّينَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَبَطِلٌ مَا كَانُوا﴾:

قَوْلُهُ: ﴿وَبَطِلٌ مَا كَانُوا﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿مُتَّبِرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ مِنْ جَوَازِ الْوَجْهِينِ الْإِعْرَابِيِّينَ، وَمَا ذُكِرَ فِيهِمَا⁽⁴⁾. وَفِي تَقْدِيمِ الْمُسْنَدِ: وَهُوَ ﴿وَبَطِلٌ﴾، عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ: وَهُوَ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، مَا فِي نَظِيرِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مُتَّبِرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾⁽⁵⁾. وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مِبَالِغَةٌ بِالْإِخْبَارِ عَمَّا هُمْ فِيهِ بِالتَّبَارِ، وَعَمَّا فَعَلُوا بِالْبُطْلَانِ، وَتَقْدِيمُ الْخَبَرِ فِي الْجَمَلَتَيْنِ الْوَاقِعَتَيْنِ خَبَرًا؛ لِتَشْبِيْهِهِ عَلَى أَنَّ الدَّمَارَ لَاحِقٌ لِمَا هُمْ فِيهِ لَا مُحَالَةً، وَأَنَّ الْإِحْبَاطَ الْكُلِّيَّ لَازِمٌ لِمَا مَضَى عَنْهُمْ؛ تَنْفِيرًا وَتَحْذِيرًا عَنْ طَلِبِهِمْ⁽⁶⁾.

الصَّلَاةُ تُحِيطُ
بِأَحْوَالِهِمُ الَّتِي
لَا يُحِيطُ بِهَا
الْمُتَكَلِّمُ، وَلَا
لِلْمُخَاطَبِينَ

إِفَادَةُ الْمُبْتَدَأِ
تَقْوِي الْحُكْمِ،
لِإِبْرَازِ الْفَخْوَى

الْبَالِغَةُ فِي
الْكَلَامِ بِالْإِخْبَارِ،
عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ
الْبُطْلَانِ وَالتَّبَارِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/82 - 83، و(19/29).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/83.

(3) الطَّبِي، فتوح الغيب: 6/543.

(4) السَّامِي الْحَلَبِي، الدَّرُ للصون: 5/445.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/83.

(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/32.

إفادة تقديم الخبر القصّر على ما هم فيه من الهالك المحقق:

بتقديم الخبر على المبتدأ، فإنه يُفيد القصّر المذكور، مع قطع النظر عن جعل هؤلاء اسم «إِنَّ» من حيث الإشارة بها إلى قوم موصوفين بالعُكوف على أصنام لهم، فيدلُّ عليه الوصف للمسند، ويفيد القصّر ولو آخر خبر المبتدأ⁽¹⁾. وموجب هذه المبالغات إيقاع جملة «مُتَبَّرٌ» «وَبَطِلٌ» تعليلاً لإثبات الجهل المؤكّد للقوم؛ لاقتراحهم أن يجعل لهم موسى إلهاً، وأبلغ من ذلك أن المذكور ليس جواباً له، بل مقدمة، وتمهيد له، وإنما الجواب قوله: «أَغْيَرَ اللَّهُ»، وقوله: «وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ»⁽²⁾. «إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

إيراد التّعبير
والْبَطْلَانِ،
تعليلًا لإثبات
الجهل المؤكّد
للقوم

بلادة التّعبير بالجملة الاسميّة: «وَبَطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»:

ولما كان الشيء قد يهلك في الدنيا، أو في الآخرة، وهو حقّ، أعلمهم بأن هذا الهلاك إنما هو الهلاك عند الله أعم من كونه في الدنيا، أو في الآخرة؛ لبطلان ما هم فيه، معبراً بالجملة الاسميّة إشارة إلى أنه الآن كذلك، وإن رُئي بخلافه⁽³⁾.

الإشارة إلى
أن الهالك في
الدارين، وإن
حسب القوم
خلافه

إفادة الاسم الموصول «مَا» الإبهام والعموم:

وقوله: «مَا» في الموضعين: «مَا هُمْ فِيهِ» وفي «مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» موصول يفيد الإبهام، فعملهم لا يستحق أن يذكر، ويفيد كذلك العموم، ليعم جميع حالهم الموصوف⁽⁴⁾. فبالموصول في الموضعين يعم البطلان القوم العاكفين على أصنامهم، وقوم موسى عليه السلام.

الجزاء عند الله،
نتائج العمل
الصالح أو
الطالح

نكتة التّعبير بلفظ «وَبَطِلٌ»، على هيئة اسم الفاعل:

الباطل اسمٌ لصدّ الحقّ، فالإخبار به كالإخبار بالمصدّر الأقوى

(1) الخفاجي، عناية القاض: 4/359.

(2) الطيّبي، فتوح الغيب: 6/544.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 3/105.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/448.

التَّغْيِيرُ بِاسْمِ
الْفَاعِلِ دَلَالَةٌ
عَلَى حَدُوثِ
الْبُطْلَانِ، وَثُبُوتِهِ
وَصَفًا مُلَازِمًا
لَهُمْ

في الدلالة على الحدث من الفعل؛ لإفادة المبالغة في بطلانه؛ لأنَّ المقام مقامُ التَّوْبِيخِ، والمبالغة في الإنكار⁽¹⁾. وشاع هذا الإطلاق حتى صارَ الباطلُ كالاسمِ الجَّامِدِ، فيأتي اسمُ فاعلٍ من بطلٍ، فهو باطلٌ، فيساوي المَصْدَرَ في اللَّفْظِ، أو يكونُ مشتقًّا من المَصْدَرِ وهو البُطْلَانُ، فيكون في الحالين بمعنى الوَصْفِ، ويكون المعنى على اسمِ الفاعل: وأنَّصف ما يعملونه بأنَّه باطلٌ وصفًا ثابتًا⁽²⁾. فالتَّغْيِيرُ بِاسْمِ الفاعل دَلَالَةٌ على حدوثِ البُطْلَانِ، وثبوته وصفًا ملازمًا لهم، وهو يناسبُ لفظَ ﴿يَعْكُفُونَ﴾ في الآية السابقة، والذي يعني: الانقطاع إلى الأصنام التي يعبدونها من دونِ الله، وملازمتهم لها قوَّةً عبادةً، وشدَّةً اتِّصَالٍ، ومبالغةً في الاتِّكَالِ، ولذلك عدَلَ إلى هذه الصَّيْغَةِ ها هنا بدلَ صيغةِ الفعلِ المَاضِي في قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 118]، التي تعني: تحقَّقَ الفعلُ، ووقوعه دونَ معنى ملازمة الوصف.

سِرُّ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ:

وعبَّرَ بالفعل (كان) في الصِّلَةِ للدَّلالَةِ على التَّحَقُّقِ، وأنَّ ذلك دأبُهُمْ، أي: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾. وأردفَهُ بخبر (كان) على صيغةِ الْمُضَارِعِ للدَّلالَةِ على التَّجَدُّدِ والتَّكْرُّرِ، وجمع بين صيغتي المَاضِي، والمُضَارِعِ في قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ للدَّلالَةِ على الاستمرارِ في الأزمنةِ المَاضِيَةِ، فالجمعُ بين صيغتي المَاضِي والمستقبلِ للدَّلالَةِ على الاستمرارِ والتَّجَدُّدِ، فضلًا عن أنَّ عدولَهُ في خبر كان من المَاضِي إلى الْمُضَارِعِ جاء لاسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ في ذَهْنِ الْمُخَاطَبِ، والأصل: ما فعلوا⁽³⁾.

التَّغْيِيرُ عَنِ
الاسْتِمْرَارِ
والتَّجَدُّدِ،
بِاسْتِحْضَارِ
الصُّورَةِ فِي ذَهْنِ
الْمُخَاطَبِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/83.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/50.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/2662 - 67، والإندونيستي، الشامل في بلاغة القرآن: 1/423.

وَيُفَسِّرُ هَذَا التَّأْوِيلُ مَا حُرِّرَ مِنْ قَصْدِيَّةِ اخْتِيَارِ لَفْظِ الْبُطْلَانِ
بصيغة اسم الفاعل ﴿وَبَطِلٌ﴾، ومناسبتُهُ لما بعده؛ تحقيقاً لثبوتِهِ
وصفاً، وملازمته إياهم.

دلالة زيادة التَّزْكِيْبِ فِي الْآيَةِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَبَطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ زيادةٌ بعد قَوْلِهِ: ﴿مُتَّبِرٌ مَا هُمْ
فِيهِ﴾؛ لتقرير مضمونها، ولتسجيل ذمِّ عملِهِمْ، ونداءً بخبيبتهم، تأنيساً
للمُسْلِمِينَ، وتهديداً للمُشْرِكِينَ، وللكافرين أمثالها⁽¹⁾. وفيه إشارةٌ إلى
أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَتَّبَعِي إِلَّا لِلْبَاقِي سُبْحَانَهُ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ، فَإِذَا
كَانَ كَذَلِكَ، كَانَ الْعَمَلُ لَهُ أَيْضاً ثَابِتاً بَاقِياً لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْبُطْلَانُ، وَفِي
تَعْقِيبِهَا لِتَذْمِيرِ آلِ فِرْعَوْنَ إِشَارَةً إِلَى مُوجِبِ ذَلِكَ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ
عَلَى مِثْلِ حَالِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ كَانَتْ عَاقِبَتُهُ الدَّمَارَ⁽²⁾.

وَجْهُ التَّغْيِيرِ عَنْ إِبْطَالِ فِعْلِهِمْ بِالمُطَابَقَةِ وَاللُّزُومِ:

قال ابنُ عَرَفَةَ: "دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى إِبْطَالِ فِعْلِهِمْ، وَهَلَاكِهِ بِالمُطَابَقَةِ،
وَعَلَى إِبْطَالِ الْفِعْلِ، وَهَلَاكِهِ بِاللُّزُومِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَمَّرَ فَعْلُهُمْ؛ فَقَدْ دَمَّرَهُمْ"⁽³⁾.

اعتبارُ تناسُبِ الفاصِلَتَيْنِ:

وفي الفاصلةِ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ هنا، وفاصلةِ الآيةِ الكريمةِ قبلَهَا
﴿تَجْهَلُونَ﴾ التَّزِمَتْ فِي هَاتَيْنِ الْفَاصِلَتَيْنِ اللَّامُ قَبْلَ الْوَاوِ⁽⁴⁾، وَعُدَّ هَذَا
الْإِلْتِزَامُ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ مِنْ مُحَاسِنِ الْكَلَامِ؛ إِذْ خَلَا مِنَ التَّكْلُفِ
المرهق، أَوْ الْإِقْحَامِ الْمِصْطَنَعِ، وَالْقُرْآنُ فِي أَوْجِ الْبَلَاغَةِ، فَلَا يَكُونُ
سِيَاقُهُ إِلَّا مَنْسَجَماً فِي الْفَاضِلَةِ وَتَرَاقِيهِهِ، وَفِي تَوْزِيعَاتِهِ الصَّوْتِيَّةِ،
وَمَوْسِيقَاهُ الدَّاخِلِيَّةِ الْبَدِيعَةِ.

تقريرُ مضمونِ
الآيةِ، مع
التوبيخِ
والتَّهْدِيدِ،
وتسجيلِ
خبيبتهم الكُبرى

تذميرُ فِعْلِهِمْ،
تذميرُ لَهُمْ،
وَسَخْقُ
لتأثيرهم

التزامُ اللَّامِ
قَبْلَ الْوَاوِ، مِنْ
مُوَاطِنِ جَمَالِ
النَّظْمِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/51.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 3/105.

(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/247.

(4) الإندونيسي، الشامل في بلاغة القرآن: 1/423 - 424، ومطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ص:

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع
القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 14، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-10-4

يشتمل على إرجاعات ببلوغرافية.

مج. 14: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 978-9948-768-10-4

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»